SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 1 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I1.1523

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

السجود في سورة السجدة

عائشة محمد علي البريكي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب جامعة سبها ، ليبيا

الملخص

يتلخص هذا البحث في أنه يظهر ما انطوت عليه سورة السجدة من أسرار السجود؛ فهي تعنى بالسجود بكل معانيه، وتكشف عما في السجود من حكم؛ فالسجود عبادة جليلة لا تصرف إلا لله وحده، ومن استولت عليه الشياطين زينت له السجود لغير الله، ومن تكبر عن السجود لله في الدنيا فلن يستطيع السجود في الآخرة إذا دعي لذلك، والشيطان إذا شاهد ابن آدم ساجدا اعتزل يبكي، فالسجود لله من صفات المؤمنين الذين يبتغون رضا الله؛ فقد جَمعت السورة من المواضيع ما يستوجب السجود بين يدي رب العزة وهذه المواضيع هي: خلق الإنسان من أعظم الدلائل على قدرة الله I ، وهذه القدرة تستدعي السجود، وتنزيل القرآن شيء عظيم؛ فقد جاء في الترتيب سابقًا خلق الإنسان، وهو يستدعي السجود ، وخلق السموات والأرض، وتدبر الأمر بين السماء والأرض، وعلم الغيب والشهادة من أعظم استدعاءات السجود، والخوف من الله تعالى، والموت الذي تحتم على بني آدم، والهداية لدى جميع المخلوقات، وإهلاك القرون الأولى كذلك يستدعي السجود، لذلك نجد مواضيع السورة كلها دعوة إلى السجود.

الكلمات المفتاحية:

أعضاء
الحكمة
الخضوع
سبعة
السجود

Obeisance in Surat AlSajdah

Aisha Muhammad Ali Al-Briki

Department of Arabic Language and Islamic Studies Faculty of Arts Sebha University,Libya

A B S T R A C T

This research is summarized in that it shows the secrets of obeisance inclucled in Surat ALsajdaah.It is concerned with obeisance and ALL its meanings and discovers the judgment and summon in obeisance, obeisance is glorified worship is not spint except for ALLah alone. Whoever is seized by devils obeisance will be adorned for him other than allah ,and whoever arrogates to abeisance to ALLah in this world ,he will not be able to obeisance in the after life if he colled for him.And the devil if he som Adams son obeisance he retire tocry. Obeisonce to ALLah is one of thechar acteris of believers who want ALLah,s pleasure the Surah collected from topics that necessitate obeisance in the hands of glory these topics are: The creation of man is one of the greatetst evidence of the power of almighty ALLah akdit o calls for obeisance, the creation of the heavens.the earth, manag the matter between them ,prescience and AL.Shahada is one of the greatest summons to obeisance and fear of ALLah almighty and the death thath Adams son was required to , and man would not be able to understand ,guidance is for all creat ues and the destruction of the first centuries this is a great work that almighty ALLah wipes out of all people ,it also calls for abeisance.there for, we find all that topics of the surah as a call to abeisance.

Keywords:

satisfaction
academic specialization
graduated students
measure of satisfaction
Education

المقدمة

الحمد لله الذي شرح صدورنا بالإسلام وهدى بصائرنا بالقرآن خشعت له القلوب وخضعت، وعنت له الوجوه وذلت، وجعل الصلاة راحة لقلوب الأخيار

*Corresponding author:
E-mail addresses: ais.albrki@sebhau.edu.ly

Article History : Received 07 June 2021 - Received in revised form 29 June 2021 - Accepted 30 June 2021

وطريق سعادة الدنيا ودار القرار، نشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له ذو العزة والاقتدار، ونشهد أن محمد عبد الله ورسوله المصطفى المختار يقف بين يدي ربه بمحبة وخضوع وانكسار

فالسجود هو عنوان الخضوع والتذلل والافتقار بين يدي العزيز الجبار المتكبر. وهو وسيلة الشكر وأداة تدارك ما فات أو زاد عن الحد في الصلاة، وهو باب القرب من المولى " فاسجد واقترب" والإكثار منه وصية نبوية لمن سأل رفقة الحبيب في الجنة: " أعِنّي على نفسك بكثرة السجود ". وهو أحد المواضع المفضلة للدعاء: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. وهو مرْقاةُ العبد في سلَم القرب: " عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة لذلك آثرت البحث في هذا الموضوع (السجود في سورة السجدة) الذي من أهدافه:

1) توضيح معاني السجود في القرآن الكريم، وما هي الحكمة منه ؟،

2) تبيين الأهمية الكبرى للسجود في حياة المسلمين في الدنيا والآخرة .

3) إظهار الوحدة الموضوعية للسورة وترابطها والتناسب بين آياتها و ومحورها الرئيسي.

4) إظهار استدعاءات السجود ودواعيه وما فيها من معاني عظمى.

وقد رصدتُ كثيرا من الدراسات حول السورة. لكن جمعها تتحدث عن تفسير السورة بترتيب الآيات، واظهار التناسب بين السورة وما قبلها وما بعدها وبين آياتها ولكنَّها لم تذكر الوحدة الموضوعية فيها وتخصصها بالسجود، واظهار المعنى الحقيقي للسجود لذلك لم تعطِ هدفَ هذا البحث. ومن خلال هذا الموضوع سيتمُ تلافي هذا القصور والإلمام بالجوانب الأخرى الموجودة في السورة، وإضافة دراسات أخرى عليها ومن الدراسات السابقة التي تفيدُ الموضوع وتدعمه هي: كتب التفاسير مثل تفسر القرآن العظيم لابن كثير، وتفسير السعدي، وكتاب نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، لمحمد الغزالي، وكتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. وكانت اشكالية الموضوع كالآتي:

1) ما هو المعنى الحقيقي للسجود، وماهي أسراره، ؟

2) ما علاقة المواضيع الواردة في السورة بالسجود ؟.

3) هل السجود هو المحور الرئيسي للسورة ولماذا سميت به السورة ؟ .

4- ما هي استدعاءات السجود ودواعيه التي لأجلها ينبغي السجود؟.

5) لماذا السجود دون غيره من معاني القرب من الله وكأن السورة معنية به دون غيرها، ولماذا جاءت على الإفراد وما دلالاته؟

وبما أنَّ الدراسة تقومُ على جمع المادة ثم تحليل ما تمَّ جمعه من مادةٍ علمية وإثبات فكرة الباحثة والتي يُرجى من خلالها الوصُول إلى نتيجة هذا البحث. اعتمدتُ خطَّة بحث تتضمَّنُ ملخص ومقدمةً وعدة عناصرهي: معنى السجود، آيات السجود في السورة، وفضائل السجود، وأذكاره، وأنواعه، ثم استدعاءاته وهذه الاستدعاءات هي: أولا: خلق الإنسان من أعظم الدلائل على قدرة الله هذه القدرة تستدعي السجود. ثانيا: تنزيل القرآن شيء عظيم فقد جاء في الترتيب يسبق خلق الإنسان لذلك هو يستدعي السجود. ثالثا: خلق السموات والأرض: تدبر الأمر بين السموات والأرض خامسا: علم الغيب والشهادة من أعظم استدعاءات السجود والخوف من الله تعالى، سادسا: الموت الذي تحتم على بني آدم والذي لم ولن يستطيع الإنسان فهمه. سابعا: الهداية لدى جميع المخلوقات. وإهلاك القرون الأولى هذا العمل العظيم الذي يمحو به سبحانه أقواما بأكملها؛ وينتهي البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج

معنى السجود:

سجد: خضع وانتصب وأسجد: طأطأ رأسه وانحنى وأدام النظر في إمراض أجفان والمسجد كمسكن، والجبهة والآراب السبعة مساجد.[i] ج والسجود أصله التطامن، والتذلل وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب نحو قوله ﷻ: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [سورة النجم: 61] ؛ أي تذللوا له، وسجود تسخير وهو للإنسان، والحيوان، والنبات في قوله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد: 16]

وعندما خلق الله ﷻ الكون أودع فيه آيات تدل على خشوع هذا الكون لله ﷻ ليكون دليلاً لنا نحن البشر حتى نخضع ونُعبر عن خضوعنا لله ﷻ بالسجود؛ فالشمس تسجد لله ﷻ من خلال التزامها بالقوانين التي أمرها الله بها؛ فهي تدور حول نفسها وحول مركز المجرة بنظام بديع لا تخالفه وهي تجذب الكواكب إليها ومنها أرضنا، وتَبثُ لنا الكمية المحددة من الضوء والحرارة لا تزيد على ذلك ولا تنقص، وهذا امتثال لأمر الله وسجود له ولكنه بلغة الشمس التي لا نفهمها. وكذلك الشجر يسجد لله ﷻ، فهو يسجد بنظام ويصنع الغذاء بنظام وهذا سجود لله ﷻ وهذه لغة لا نفهمها.

وكذلك النجوم تسجد لله ﷻ والنظام الدقيق الذي تسير عليه في ولادتها، ونشوئها، وتطورها، وموتها يشهد على ذلك. حتى الدواب التي سخرها الله ﷻ لنا ونحمل عليها أثقالنا فإنها تسجد لله؛ ذلك من خلال طاعتها لنا وسيرها بنظام لا تحيد عنه أبداً؛ فهذا دليل على طاعتها لخالقها ﷻ، وهكذا جميع المخلوقات تسجد لله ﷻ وتسبحه وتطيعه؛ ولكن ماذا عن الإنسان؟!

إنه الوحيد في هذا الكون الذي يخالف هذه القاعدة !! ولكن من قبله إبليس خالفها؛ لأنه رفض أمر الله ﷻ بالسجود لآدم.

فالإنسان عندما يرفض السجود لله ﷻ يكون مثل إبليس في معصيته لأمر خالقه، ومن هنا ندرك جانباً من الحكمة الإلهية في السجود فهذه سجية الكون؛ فإن ألذَّ لحظة يمر بها المؤمن عندما يكون ساجداً؛ لأنه يكون أقرب إلى الله ﷻ ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [سورة العلق:20]؛ ففرض على المسلم 34 سجدة في اليوم، ورتَّب هذه السجدات في أوقات محددة بنظام محكم.[ii]، والسجود يكون على سبعة أعضاء قال صلى الله عليه وسلم : « أُمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ».[iii] وهذه أيضا من عجائب الرقم سبعة في الكون.

آيات السجود في السورة:

قال تعالى:: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة السجدة: 15] ؛ أي استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلا ولا يستكبرون عن اتباعهم والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة.[iv] ،وقيل بادروا إلى السجود مبادرة من كأنه سقط من غير قصد، خضعا لله من

شدة تواضعهم وخشيتهم وإخباتهم له خضوعا ثابتا دائما، وأوقعوا التنزيه عن كل شائبة نقص من ترك البعث المؤدي إلى تضييع الحكمة [v]. ثم قال ﷻ:﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [سورة السجدة: 16]

فضائل السجود

أولا: رفع الدرجات ومحو الخطايا؛ فعن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: " لقيت ثَوْبانَ مولى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقلت: أخبرني بعملٍ أعملُه يدخلني اللهُ به الجنةَ، أو قال قلت: بأحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ فسكت، ثم سألتُه فسكتَ، ثم سألتُه الثالثةَ فقال: سألتُ عن ذلك رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم. فقال: «عليك بكثرةِ السجودِ للهِ، فإنك لا تسجدُ للهِ سجدةً إلا رفعَك اللهُ بها درجة وحطَّ عنك بها خطيئةً».[vi]

ثانيا: السجود سبب في دخول الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجد، اعتزل الشيطانُ يبكي. يقول: يا وَيْلَهُ أو يا وَيْلي. أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجود فسجد فله الجنَّةُ. وأُمِرتُ بالسجود فأَبَيْتُ فلي النارُ.».[vii]

ثالثا: السجود سبب في إجابة الدعاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقربُ ما يكونُ العَبدُ مِن رَبِّه وهو ساجِدٌ. فأكثِروا الدُّعاءَ».[viii]

رابعا: السجود بإخلاص من علامات الإيمان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكشِفُ رَبُّنا عن ساقِه، فيسجُدُ له كلُّ مؤمنٍ ومُؤمنةٍ، ويبقى كلُّ من كان يسجُدُ في الدُّنيا رياءً وسُمعةً فيذهَبُ لِيَسجُدَ، فيعودُ ظهرُه طبقًا واحدًا» .[ix]

أذكار السجود:

تأمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم حينما علَّمنا الذكر الذي يقال في السجود، في ذلك الموضع الذي يضع فيه الإنسان جبهته في التراب ويحني جسمه كله، ويخضع قلباً وقالباً (روحاً وجسداً) يقول حينئذ: (سبحان ربي الأعلى) وهو في المقام الأدنى حساً يقول: سبحان ربي الأعلى مستشعراً علو العلي الأعلى مستوٍ على عرشه، وهذا جزء أساسي من فقه السجود يربط بين الصورة الحسيه، والدلالة المعنوية للعبادة في ذله العبد وعظمه الرب، وافتقار العبد للرب.

وقد وردت في السنة النبوية صيغ متعددة لأذكار السجود ومن السنة التنويع بين هذه الصيغ: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يقولُ في سجودِهِ: «اللَّهُمَّ اغفِر لي ذنبي كلَّهُ دقَّهُ وجلَّهُ وأوَّلَهُ وآخرَهُ. وفي رواية علانيتَهُ وسرَّهُ».[x]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كانَ يقولُ في سجودِهِ: «اللَّهمَّ لَكَ سجدتُ وبِكَ آمنتُ ولَكَ أسلمتُ وأنتَ ربِّي سجدَ وجْهي للَّذي خلقَهُ وصوَّرَهُ وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ تبارَكَ اللَّهُ أحسنُ الخالقينَ»[xi]، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقولُ في سجودِهِ: «سُبحانَ ربِّيَ الأعلى» [xii]، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: " أنَّ النَّبيَّ كانَ يقولُ في رُكوعه وسجودِه «سبُّوحٌ قدوسٌ ربُّ الملائِكةِ والروح» [xiii] .

أنواع السجود:

سجود الصلاة-سجود السهو- سجود التلاوة - سجود الشكر

حقيقة السجود

حينما يتأمل الإنسان في السجود فإنه يجد أن الكون كله ساجد لله؛ بمعنى ذلته وخضوعه له ﷻ وانقياده وصيرورته وفق حكم الله، ثم هو ساجد بالمعنى الحقيقي؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾[الحج:18]، فيتأمل العبد أنه حينما يسجد لله عز وجل يكون عبارة عن جزء من هذا الكون المسبح بحمد الله الساجد لله ﷻ؛ فإذا قلنا أن السجود هو التقاء البداية والنهاية ؛ فأن كل شيء يبدأ بالحياة وينتهي بالموت فهذا سجود، وكل خلية في أي عضو لأي كائن تبدأ حياتها وتؤدي وظيفتها ثم تموت، فقد سجدت وكل ورقة في شجرة أدت وظيفتها ثم ماتت فقد سجدت، وكذلك النجوم والكواكب وكل ما في الكون يرجع لله ويسجد له لذلك جاءت بصيغة المفرد.

والسجود الذي نقوم به في الصلاة وغيرها فيه التصاق بالأرض يتذكر به العبد البداية والنهاية؛ لأن الإنسان في سجوده يضع جبهته وأنفه على التراب فيتذكر أن أصل خلقته من التراب، وأنه عاد إلى هذا التراب، وأن الله ﷻ يبعثه يوم القيامة للنشر والحساب وهذا المعنى يتجسد بأبلغ ما يكون في السجود.

فالسجود بهيئته صارف عن رؤية الدنيا وفتنتها فالإنسان حينما يسجد يكون نظره في سجوده إلى هذه القطعة والرقعة الصغيرة في الأرض لا يرى من الدنيا سواها فيتذكر مقدار الدنيا بالنسبة للآخرة؛ ففي أثناء قيام العبد في الصلاة قد يلفت نظره شيء من الدنيا أو يرى الأشخاص أو الذوات، وكذا في ركوعه قد يقع بعض ذلك، أما في سجوده فلا يحصل شيء من هذا أبداً فلا يرى شيئاً من الدنيا، ولا يبصر أحداً من أهلها، فكأنما انصرف عن كل شيء وعن كل بشر وتجرد من كل نفع ومن كل ضر وتبرأ من كل حول، ولم يبق له نظر إلا إلى الله ﷻ فبه يتعلق قلبه، وله يخلص النية؛ ولذا كان السجود موضع قرب من الله.

أهم المواضع التي استدعت السجود في السورة

أولا- نزول القرآن

إن هذا القرآن النازل يقينا من عند الله جاء إلى أمة لم يكن لها إلف بالوحي فصاغها في قالب جديد، وحملها رسالة عالمية

فعند نزول القرآن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتعب ويغشى عليه، وإذا نزل عليه وهو على ظهر دآبة، تصل رقابها إلى الأرض قال تعالى: ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ قال ﷻ ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ [سورة الحج: 16]؛ أي أنزلنا القرآن الكريم كله آيات واضحات الدلالة على معانيها ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [سورة الدخان: 2]؛ أي كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي خير من ألف شهر؛ فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام " أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي شيئاً بعد شيء" [xiv] قال ﷻ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: 184] هو القرآن المشتمل الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبين الحق

بأوضح بيان و الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال وأهل السعادة وأهل الشقاوة؛ فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا احسان الله عليكم فيه أن يكون موسماً للعبادة والسجود .[xv] قال ﷻ: ﴿كتاب أنزلناهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:28] ؛ أي فيه خير كثير وعلم غزير فيه كل هدى من ضلال، شفاء من داء ونور يستضاء به في الظلمات وفي كل حكم يحتاج إليها المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب ما كان به، والحكمة من إنزاله ليدبر الناس آياته، ويستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه وتأمل معانيه تدرك بركته وخيره؛ ثم قال ﷻ ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ؛ أي أولو العقول الصحيحة يتذكروا بتدبرهم لها كل علم مطلوب وينتفعون به ولله يسجدون.[xvi]

ثانيا - خلق السموات والأرض

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة السجدة آية 3] ، ناسب هنا وصف الله الذي أسدى هذا الصنيع (هذا الملكوت الضخم)؛ فالأرض تلف حول نفسها كل 24 ساعة وتلف حول الشمس 365 يوما، والشمس وأسرتها تجري في مدار حاشد بالنجوم والمجرات السابحة في الفضاء لا ندري إلا القليل من شؤونها، والضوء يقطع المسافة بين الأرض والشمس في بضع دقائق. وإدارة شؤنه تحتاج بمقاييسنا الزمنية إلى أزمنة بعيدة إلى ألف عام أو أكثر، ولكنها في عمل الخالق الكبير لا تستغرق زمانا يذكر إن الله يريد فيفعل [xvii]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل: 48]؛ أي أولم يعتبر هؤلاء الكافرون و يروا آثار قدرة الله ﷻ، وأنه ما من شيء من الجبال والأشجار والأحجار ومن سائر ما خلق الله ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل: 48] ؛ أي تميل ظلالها من جانب إلى جانب ساجدة لله سجودا وخضوعا لمشيئته تعالى وانقيادا، لا تخرج عن إرادته ومشيئته ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾؛ أي خاضعون صاغرون، فكل هذه الأشياء منقادة لقدر الله وتدبيره، فكيف يتعالى ويتكبر على طاعته أولئك الكافرون ؟ ﷻ وحده يخضع وينقاد جميع المخلوقات بما فيها الملائكة فهم لا يستكبرون عن عبادته. [xviii] ، وقال ﷻ وله ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: 16] ؛ أي لله وحده يخضع وينقاد أهل السموات وأهل الأرض طائعين وكارهين؛ فالمؤمن يسجد طوعاً والكافر يسجد كرهاً؛ أي في حالة الفزع والاضطرار، وتسجد كذلك ظلالهم لله في أول النهار وأواخره.

والغرض: الإخبار عن عظمة الله وسلطانه الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء، بأنه ينقاد لجلاله جميع الكائنات حتى ظلال الآدميين والكل في النهاية الخضوع والاستسلام لأمره.[xix]

قال ﷻ :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ ﴾ [الحج: 18]

أي يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، الملائكة في أقطار السموات والأرض، والإنس والجن وسائر المخلوقات في عالم الأرض قال ﷻ: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: 18]؛ أي وهذه الأجرام العظمى مع سائر الجبال والأشجار والحيوانات تسجد لعظمته سجود انقياد وخضوع[xx]

ثالثا :خلق الإنسان

قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء:1] خلقكم من نفس واحدة ليناسبها فيسكن إليها وتتم بذلك النعمة ويحصل السرور وهذا موجب للتقوى وموجب للسجود قال ﷻ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:99].

و قيل: هي نفس آدم عليه السلام أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي الذي قد ملأ الأرض، ولم يزل في زيادة ونمو الذي قد تفاوت في أخلاقه وخلقه وأوصافه تفاوتاً لا يمكن ضبطه ولا يدرك وصفه وجعل الله لهم مستقراً أي منتهى ينتهون إليه وغاية يساقون إليها وهي دار القرار التي لا مستقر ورائها ولانهاية فوقها؛ فهذه الدار هي التي خلق الخلق لسكناها وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها التي تنشأ عليها وتعمر بها وأودعهم الله في أصلاب أبائهم وأرحام أمهاتهم ثم في الدار الدنيا ثم في البرزخ، كل ذلك على وجه الوديعة التي لا تستقر ولا تثبث بل تنتقل فيها حتى يوصل إلى الدار التي هي المستقر[xxi]، وهذا هو مبدأ الإسلام والتسليم الذي أسس عليه الكون.

ثم يبين ﷻ مراحل خلق الإنسان فقال:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: 5].

أي سواكم حتى تبلغوا أشدكم وهو كمال القوة والعقل ومنكم من يتوفى من قبل سن الرشد، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو سن الهرم والتخريف الذي يزول به العقل ويضمحل كما زالت باقي القوة وضعفت قال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: 53] وقال ﷻ: اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: 10]

ليجزيهم على أعمالهم هذا الخلق ألا يستدعي السجود لهذا الخالق العظيم﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: 6]

رابعا – تدبير الأمر بين السموات والأرض

تدبير الأمر أمر عظيم، أعظم من الخلق نفسه؛ لأن الخلق تم في ستة أيام لكن تدبير الأمر يستدعي الدهر كله كل لحظه فيه وكل دقيقة قال صلى الله عليه وسلم:﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: 253] .

وجاء في قولة ﷻ: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: 4] قال ابن عباس: نزل القضاء

والقدر، وقيل نزل الوحي مع جبريل، وقيل: يدبر أمر الدنيا أربعة ؛ جبريل وميكائيل، وملك الموت، و إسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالمطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل الأمر عليهم، وقيل: أن العرش موضع التدبير، كما أن ما دون العرش موضع التفصيل قال ﷻ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: 2] وما دون السماء والأرض موضع التصرف.[xxii]

يدبر الأمر القدري والأمر الشرعي الجميع هو متفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند الملك القدير فيُسعد بها ويُشقى ويُغنى ويُفقر ويُعز ويُذل ويُكرم ويُهين ويَرفع أقواماً ويضع آخرين ويُنزل الأرزاق { ثم يعرج }؛ أي الأمر ينزل من عنده ثم يعرج إليه هو الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة الذي استوى على العرش وانفرد بالتدابير في المملكة.[xxiii]

خامسا – علم الغيب والشهادة

إننا لن نجد قضية دنيوية أو قانوناً دنيويا إلا احتاج إلى تعديل أو تبديل بعد فترة قليلة من الزمن لماذا؟ لأن الذين درسوا هذه القضية أو تلك أو وضعوا هذا القانون أو ذاك، علموا أشياء وغابت عنهم أشياء فلما مر الوقت وظهرت الأشياء التي كانت غائبة اقتضت التعديل وهذا أمر طبيعي؛ لأن كل عصر له قوانين وله قضايا ولكن لما كان المشرع هو الله وحده ولأنه جل جلال لا يغيب عنه شيء فعلمه أزلي وكل ما في الكون في علمه حتى قبل أن يوجده فهو لا يعزب عنه مقدار ذرة في السموات أو في الأرض.

قال ﷻ: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: 25]

الذي يعلم الخطايا ويعلم كل مخبوء في العالم العلوي والسفلي، يعلم كل خبيئة في السماء والأرض ويعلم السر والعلن، ما ظهر وما بطن.

أي هو الله ﷻ المتفرد بالعظمة والجلال رب العرش الكريم المستحق للعبادة والسجود، وخص العرش بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة:5]

فبسعة علمه، وكمال عزته، وعموم رحمته، أوجدها وأودع فيها المنافع ما أودع ولم يعسر عليه تدبيرها.

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ ﴾ [لقمان: 33]

المغيبات الخمسة: هي الأمور التي أختص الله بها نفسه وجعلها في علمه ولا يطلع عليها أحد.

1- علم الساعة:

سُئل الأنبياء من قبل عن موعد قيام الساعة والناس مازالت إلى اليوم تتساءل عن هذا الموعد مع أن الإنسان تنتهي علاقته بالدنيا في سنوات قليلة.

والساعة لا تأتي إلا فجأة، ستأتي بمقدمات فلا يستطيع أن يتنبأ بها أحد حتى قبل حدوثها بدقائق ويفاجأ الناس بها، إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصُور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصرة إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخ في الصور قال ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: 65]

2 - ينزل الغيث:

إن المطر الذي ينزل من السماء هو عملية كبيرة جداً لا يستطيع البشر أن يقوم بها مهما بلغ علمه فهي لا تبدأ بالسحاب بل تنتهي بالسحاب وهذه العملية تتم دون أن يكون للإنسان دخل فيها ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور: 42]

إن البشرية كلها لا تستطيع بكل ما أوتيت من علم أن تفعل ذلك بل إن الله ﷻ شاءت قدرته جعل هذا من اختصاصه .

3 – يعلم ما في الأرحام

إن معنى كلمة ما في الأرحام واسع جداً؛ فكلمة "ما " هنا تعني حياة المولود من لحظة ولادته إلى لحظة وفاته حاله من طوله، لونه، صحته، ومرضه، عمره رزقه، الأحداث التي ستقع له أو عليه، مهنته، زمنه، سفره، وإقامته، أهله..... إلى مالا نهاية

إن العلم قد توصل إلى معرفة نوع المولود بعد أن خرج من علم الله إلى العلم الدنيوي للكلمة " كن " أي بعد خلقه وتكوينه وأصبح له كيان مادي ولكن هل يستطيع العلم أن يقول لنا قبل أن تحمل الأم أي شيء عن الجنين، العلم عاجزاً تماماً عن معرفة أي شيء عن الجنين فأين علم الإنسان من علم الله – الذي يعلم ما في الأرحام منذ الأزل يعلم ما تحمل كل أنثى وما تضع من لحظة خلق آدم إلى يوم القيامة بل قبل خلق آدم وحواء قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172]

4 – الرزق بيد الله وحده

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة لقمان آية 33]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله " [xxiv] وقال ﷻ:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:37]

إن الرزق الذي يجري في العالم له أسرار غريبة، وأقدار الله ﷻ تؤدي دورها الذي لا يحس به فتنخفض أسعار ويفلس عدد من الناس ممن كانوا في غنى فاحش وتغلو أسعار فيصبح الفقراء أغنياء، وتتغير أنماط المجتمع، فيعلو الحفاة العراة في البنيان ويصبحوا هم الذين يملكون البنايات الشاهقة والأرصدة الكبيرة من المال، هذا كله يحدث كل يوم ولا يستطيع أحد تغير شيء، إن الناس كلها تبحث عن الغنى والمال؛ ولكن أقدار أرزاق الله تتحكم فينا ونحن لا ندري.

إن الرزق ليس هو ما يمتلكه الإنسان ! لا بل هو ما ينتفع به، والذي يمتلك الملايين ويحرص عليها هي في الحقيقة تابع عمله وليس رزقه إن رزقه ما ينتفع به من مأكل وملبس أو ما يتصدق به فيغنى في الآخرة.[xxv]

5 الموت:

إن إخفاء موعد الموت هو أكبر إعلام به ذلك أنه يجعلك تتوقعه في كل يوم، وهذا يدفعك إلى فعل الخير وتجنب الشر والمعصية كل يوم خوفاً من أن يكون أجلك قد أقترب فتلاقي الله ﷻ بلا حسنات، وكما أخفى الله ﷻ موعد الموت أخفى مكانه فلا يعرف إنسان في أي مكان سيموت.

سادسا – الهداية في الكون:

السجود يفصل بين الصنفين قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:13]

أي من الصنفين فزادهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها قال ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ [سورة السجدة آية 14]أي وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 14] أي بسبب كفركم وتكذيبكم ثم قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: 15] هذا هو الصنف الثاني الذين يصدقون بآيات ربهم ويسمعوا ويطيعوا قولاً وفعلاً – وخروا سجداً – فالسجود هو علامة الإيمان ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:16] بمعنى قيام الليل ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: 16] هذه هي صفتهم بين الخوف والرجاء أي خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه قال ﷻ: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: 16]؛ أي يجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .[xxvi]

سابعا – هلاك الأمم الأولى وعاقبتها

الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار: طور الشباب وطور الكهولة، وطور الهرم، فيشمل الطور الأول. نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها، مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة

ويشمل الطور الثاني. ابتداء أخذها في التقدم والإنتشا، وسعة النفوذ وقوة السلطان إلى استكمالها قوتها، وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك؛ بما كان فيها من مواهب، وما كان لها من استعداد، وما لديها من أسباب

ويشمل الطور الثالث: ابداءها في التقهقر والضعف والانحلال إلى أن يحل عليها الفناء والاضمحلال، إما بانقراضها من عالم الوجود وإما باندراسها في عالم السيادة والاستقلال

وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون العام إن اختلفت أطوارها في الطول والقصر، كما تختلف الأعمار. ومن معجزات القرآن هذه السنة الكونية التي أجرى الله عليها حياة الأمم في هذه الدنيا، أشار إليها في كتابه العزيز في غير ما آية: فذكر أعمار الأمم، مقدرة محددة. [xxvii] في مثل قوله:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية 32]، وذكر إنشاء الأمم على إثر الهالكين في مثل قوله تعالى:﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [سورة الأنبياء آية 11]

وهكذا الدول والأمم فإن لكل دولة نظاما في كيانها ولو اطلعت عليه لأدركت سبب سقوطها فهي متى غمست في الترف والنعيم هلكت وساء مصيرها وذلك آت من نفسها وطباع أهلها فكانه مكتوب في جبلتها يقرأ في صحائف نفوسها كما يقرأ الناس صحائف أعمالهم يوم القيامة، وهذا قانون الأمم كلها متى طغت هلكت فلا فرق بين الأمم.[xxviii]

الوفاة:

يحدد القرآن الكريم مراحل الحياة في الآيات الكريمة فقال﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [:غافر: 10] وفي الآية الثانية تبين الترتيب فقال:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: 27]

توضح الآية الكريمة مراحل الحياة كلها إلى يوم القيامة مرتبة، أولاً كنا أمواتاً ثم أحيانا الله ﷻ ثم يميتنا، ثم يبعثنا أحياء يوم القيامة ليتم الحساب

نلاحظ أن حلقة الحياة في الدنيا قد بدأت بالموت ولم تبدأ بالحياة، المفهوم أن معنى الحياة هي الفترة التي يكون فيها للإنسان وجود، ومعنى الموت على أنه عدم أو لا شيء و الحقيقة غير ذلك تماماً، قال ﷻ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [: الملك: 2] إذن الموت عدم؛ ولكنه خلق من خلق الله كالحياة تماماً كلاهما من خلق الله و ولكل خلق قوانينه وحياته وما يتم فيه، والله ﷻ وحدة قادر أن ينقل من عالم الحياة أو ينقلها إلى عالم الموت.

وتكشف لنا الآيات أن الإنسان ينتقل من الحياة الدنيوية إلى الموت بطريقتين؛ فالإنسان حين يحتضر يرى ما لم يكن يره ويعرف مصيره أما إلى الجنة وأما إلى النار.

الصورتان اللتان أعطاهما لنا الحق ﷻ في القرآن هي صورة المؤمن وصورة غير المؤمن، وهما يغادران الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ، قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:11]

إذن ملك الموت هو الموكل بالوفاة وقال ﷻ:﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 32]

هذه صورة المؤمن وهو يحتضر تحيط به ملائكة الرحمة، يلقون عليهم السلام ويبشرونهم بالجنة لذلك يكون المؤمن سعيد منبسطة أساريره

والصورة الثانية: صورة الكافر قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:51]

هذه حالة الموت عند الكافر يرى ملائكة العذاب يواجهونهم بالضرب وينذرونهم بالنار وعذاب الحريق.

وفي هذه اللحظة يحس بالجريمة الكبرى التي ارتكبها في حياته فيتشنج وجهه ويملؤه الغم والهم، ويرى مقعده من النار مصيره أسود يتمنى أن يفلت منه ولكنه لا يستطيع، فقد خمدت بشريته وانتهت فترة الاختبار بالنسبة له وأصبح لا يملك لنفسه شيئاً انتهت الإرادة البشرية تماماً وأصبح مقهوراً لأمر الله.[xxix] هنا تمنى لو كان سجد في الدنيا سجوداً ينجي به من كل هذا العذاب قال تعالى:﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [القلم:43]

الخاتمة:

1-إن التفسير الموضوعي في القرآن الكريم يمتلك قدرة بالغة في المحاججة والدفاع عن الإسلام والعقيدة الإسلامية؛ فإنه يقوم على مبدأ الوحدة

الموضوعية وله معنيان (وحدة الأفكار) و(الموضوعات) التي سيتناولها النص القرآني، فالسورة تشكل جميعها موضوعا واحدا حتى يصبح القرآن الكريم كالكلمة الواحدة في موضوعاته ومفرداته.

2-احتوت سورة السجدة من الموضوعات الكثير، وكلها تدور حول محور واحد، وهو عظمة السجود واستدعاءاته

3-هذا السجود العظيم هو منة الله تعالى على عباده في الأرض ودليل عبوديتهم له سبحانه، وجاءت في السورة سجدة من السجدات العظيمة في القرآن.

4-من الموضوعات المهمة في السورة والتي اجتمعت حول محور السجود هي: أولا: خلق الإنسان من أعظم الدلائل على قدرة الله قال ﷻ: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات:21]هذه القدرة تستدعي السجود. ثانيا: وتنزيل القرآن شيء عظيم فقد جاء في الترتيب يسبق خلق الإنسان قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:1- 2] لذلك هو يستدعي السجود .ثالثا: وخلق السموات والأرض قال ﷻ: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: 57] رابعا: تدبر الأمر بين السموات والأرض قال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾ [فاطر:41] خامسا: علم الغيب والشهادة من أعظم استدعاءات السجود والخوف من الله تعالى، سادسا: الموت الذي تحتم على بني آدم والذي لم ولن يستطيع الانسان فهمه. سابعا: الهداية لدى جميع المخلوقات، واهلاك القرون الأولى هذا العمل العظيم الذي يمحو به سبحانه أقواما بأكملها،﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة آية 7] إذا فسجود هذه بعض استدعاءاته و فضائله، كيف لا يُؤدى وتُقام أركانُه شكلا وجوهرا، قبل أن يحول دونه حائل ؟ قال ﷻ : ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: 42]

الهوامش:

[i] - القاموس المحيط، سجد

[ii] - موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي

[iii] - صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود.

[iv] - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 3\726

[v]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي،254

[vi] - رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه،488

[vii] - رواه مسلم كتاب الإيمان، باب الطلاق اسم الكفر على تارك الصلاة،81.

[viii] - رواه مسلم كتلب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود،482.

[ix] - رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يكشف عن ساق، 4919

[x] - رواه مسلم كتاب الصلاة، ما يقال في الركوع والسجود، 483.

[xi] - رواه النسائي،1126.

[xii] رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، 262.

[xiii] - رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود،487.

[xiv] - التسهيل لعلوم التنزيل 4\34، وينظر تفسير المنار 2\ 161

[xv] - تيسير الكريم الرحمن، 74

[xvi] - تيسير الكريم الرحمن، ص 74

[xvii] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي دار الشرق، ط 4،2000م

[xviii] - صفوة التفاسير الصابوني 2\ 128

[xix] - المرجع نفسه 2\77

[xx] - صفوة التفاسير 2\ 284

[xxi] - تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 267

[xxii] - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 7\ 404

[xxiii] - تيسير الكريم المنان 717

[xxiv] - ينظر القصص القرآن في سورة الكهف – الشعراوي – ص90

[xxv] - ينظر القصص القرآن في سورة الكهف – الشعراوي ص 90

[xxvi] - ينظر تفسير ابن كثير – 3\ 726

[xxvii] تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان، وتوفيق محمد شاهين، دار الفكر، ط2 189

[xxviii] الجواهر في تفسير القرآن العظيم، طنطاوي جوهري، د ط، 9ص6

[xxix] - ينظر القصص القرآني في سورة الكهف – محمد الشعراوي، مكتبة الشعراوي الإسلامية، موسوعة أخبار اليوم، د.ط، ص34

المصادروالمراجع:

أولا: القرآن العظيم برواية قالون عن نافع المدني

[1]- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ،تح: محمد سالم هاشم، ،دار الكتب العلمية،1995.

[2]- تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان، توفيق محمد شاهين، دار الفكر، ط2

[3]- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر

[4]- الجواهر في تفسير القرآن العظيم، طنطاوي جوهري، د ط، 9

[5]- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، القاهرة مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 2004 م.

[6]- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تح: عبد العزيز بن باز، دار الوليد، طرابلس.

[7]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار التراث العربي، القاهرة، 1967

[8]- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد الحلبي، تح: عبد السلام الحلبي، دار الكتب الوطنية بنغازي الطبعة الأولى، 1995.

[9]- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزأبادي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

[10]- القصص القرآني في سورة الكهف – محمد الشعراوي، مكتبة الشعراوي الإسلامية، موسوعة أخبار اليوم، د.ط .
[11]- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، دار القلم، بيروت.
[12]- مفردات الألفاظ، الراغب الأصبهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة،2002
[13]- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشرق، ط1، 2000
[14]- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي دار الشرط، 4،2000م
[15]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية، الطبعة الأولى.
[16]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
[17]- الوافي معجم وسيط في اللغة العربية، عبد الله البستاني، مكتبة لبنان.